

## ابن ظَفَر الصقْلِي (٤٩٧-٥٦٥هـ) الراوية والناقد

أ.د. نزار شكور شاكر - جامعة السليمانية - كلية التربية الأساسية

### ملخص

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على ابن ظفر الصقْلِي الراوية والناقد. وذلك بالرجوع إلى المؤلفات المتبقية له، وقد أسفر البحث عن التوصل إلى بعض المظاهر النظرية والعملية في مرويات ابن ظفر وفي نقده للشعر، وعن توافر القاسم المشترك بين الراوية والناقد الذي يتمثل في حضور مساحة من الوعي الموضوعي في نطاق التعامل مع النص - ولاسيما من الوجهة اللغوية - الذي أسهم في تأطير الجهد الروائي والنقدي لدى ابن ظفر.

الكلمات المفتاحية: ابن ظفر، الشعر، الراوية، النقد.

### **Ibn Zafar al-Skalli (497\_565H) narrator and critic**

Dr. Nizar Shakur Shaker-Sulaimaniyah University - College of Basic Education

### **Abstract**

The research aims to shade light on ibn al Zafar Sicilian novelist and critic by referring to the remaining works of his, and the research resulted in the availability of some theoretical and scientific manifestations in the novels of Ibn Zafar and his criticism of poetry, and the availability of the common denominator between the narrator and the critic, which is the presence of a space of objective awareness in the scope of dealing with the text \_especially from a linguistic point of view ,which contributed to the volatility of the narrative and critical effort of Ibn Zafar.

Keywords: Ibn Zafar, Poetry, Narrator, Criticism.

## المقدمة

تشكّل مؤلّفات ابن ظفر باقة معرفية في المكتبة العربية - الصقلية في القرن السادس الهجري وفي ضوء المتوافر منها (عدا كتابه في التفسير: ينبوع الحياة) الذي تعدّر الحصول عليه تاماً\*) يجد الباحث بعد عملية الاستقراء مظاهر عناية المؤلّف برواية الشعر ونقده، وتأتي أهمية البحث الحالي من أنه يسهم ضمن خطوات بحثية في بيان المظاهر التي عملت على تحديد معالم شخصية ابن ظفر الرواية والناقدة، فضلاً عن محاولة البحث عن القاسم المشترك بين شخصية ابن ظفر الرواية والناقدة عن طريق مبحثين: الأول: رواية الشعر، والثاني: نقد الشعر على وفق المنهاج الوصفي التحليلي. وقد أسفر البحث عن عدد من النتائج دوّنت أبرزها في الخاتمة.

## المبحث الأول: رواية الشعر

عمد ابن ظفر إلى رواية الشعر، ولعلّ بالإمكان حصر أبرز المظاهر التي وردت فيها الرواية لديه في نطاق مؤلّفاته ولاسيّما بعد أن جاءت في ضوء النقطتين اللتين نجد لهما صدى في أصول رواية الشعر:

١- توظيف أسلوب الذاتية والمعاصرة.

٢- توافر الملاحظات العملية.

١. توظيف أسلوب الذاتية والمعاصرة: مع توافر الجانب الإخباري المنقول ولاسيّما المصاحب لتأشير القصد من عملية الرواية الشعرية في الخبر المنقول ضمن إحدى مؤلّفات ابن ظفر (١) نجد حضور الرواية الذاتية لمؤلّف الكتاب بوصفها عنصراً مرادفاً للمعنى الدال في بابه من التأليف، وضمن أكثر من نص في مجال الغرض الواحد الذي يكشف عنه المؤلّف في سياق التأليف (العنصر الحاضر) من نحو ما نقرأ لابن ظفر: ((قيل: كان الحجّاج بن يوسف إذا تعارضت آراؤه في خطب من الخطوب أنشد:

دَعَهَا سَمَاوِيَّةٌ تَجْرِي عَلَى قَدَرٍ      لَا تُفْسِدُهَا بَرَأْيِي مِنْكَ مَنْكُوسٌ

وفي ذلك قلت: ... وقلت في ذلك أيضاً: ((...)). (٢)

وعليه نلاحظ بوضوح توظيف ابن ظفر بعض أشعاره بعد الوقوف على أغراضها في بعض مؤلفاته جرياً على بعض الأصول الواردة في الرواية الشعرية، فمن الأمور المتعلقة بهذا المظهر المؤلف لدى المصنّفين الموافق لطبيعة تأليف الكتاب على نحو كبير نجد لدى ابن ظفر الرواية الذاتية في الغرض الواحد من نحو غرض التأسّي والرضا والزهد على وفق مقتضيات التأليف ودواعيه، فضلاً عن تنبّهه إلى عرض الأبيات الذاتية المماثلة في الغرض القائم الحاضرة أيضاً في هذا الأفق. (٣)

وحول الشق الثاني من هذه النقطة في إطار الرواية بعد عملية الإنشاد جاءت عملية رواية الشعر في إطار المعاصرة بين ابن ظفر والمروى له ببيان النصوص الشعرية العديدة للمروى له في سياق رواية الخبر من لدن المؤلّف في الغرض الواحد (غرض الفخر) الذي أفاد فضلاً عن ذلك الإحاطة بمعاصره أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم المنشد والشاعر والناقد ، وبما يفسح المجال لرواية شعر المؤلّف ذاته بمعنى كَشَفُ بعض مؤلّفات ابن ظفر عن تنبّه المؤلّف إلى الإفادة من عنصر المعاصرة (الحاضر) أيضاً لرواية شعره الذاتي فضلاً عن إنشاد شعر غيره (الخنساء) ، إذ (( أنشد في بعض الملوك لنفسه في حال شديدة نزلت به :

نَحْنُ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ بَطْشًا وَعِلْمًا      وَلَنَا الْمُحْتَدُ الْأَغْرُ الْأَعْرُ  
ولنا أَنفُسٌ عَـوَارِفٌ بالدهر      تَأْسَى حِينَ الْأَسَى يُسْتَعْرُ

وحضرت عنده في يوم من أيام شِدَّتِهِ، فأنشدني لنفسه:

قَرَّبَنِي دَهْرِي فَلَمْ يَلْقَنِي      أَطْمَعُ فِي تَأْيِيدِ تَقْرِيهِ  
ثُمَّ نَبَا عَيِّي فَلَمْ يَلْقَنِي      أَجْزَعُ مِنْ إِصْنَاتِ تَعْذِيهِ

والحمد لله على حكمه

ثم قال لي: أجز: فقلت: فقوتي منه وحوالي به.

وقال لي يوماً وقد حادثته بما يبعثه على التأسّي: أنشدني في ذلك شعراً، فأنشدته للخنساء:

ألا ياصحُرُ لا أنساكَ حتّى أُفارق عيشتي وأزورَ رَمْسِي  
 ولولا كثرةُ الباكينِ حَوَلي على إخوانهم لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
 وما يَبْكُونُ مِثْلَ أخي وَلَكِنْ أَعَزِّي النَفْسَ عَنَّهُ بالتأسي

فقال لي: هذا أخلق من طيلسان بن حرب، اسمع، وأنشدني لنفسه:

نَفِيضٌ كما يَفِيضُ التَّيْلُ جُوداً وَتُقَدِّمُ مِثْلَ إِقْدَامِ الحُسَامِ  
 وَإِنْ نَزَلْتُ بِنَا كُـبُرِ الرِّزَايَا تَأَسَّيْنَا بِأَمْرِ كِرَامِ)) (٤)

٢. الملاحظات العملية: نلمس على هذا المستوى بعض الملاحظات العملية المألوفة في بابها منها ما ورد من أثر التنبيه على بعض الألفاظ الواردة في بعض الأبيات المروية في ضوء الاطلاع، وما صاحب ذلك من بيان معانيها على نحو موجز -على الرغم من توافر روايات أخرى لم يتم الإشارة إليها - كما ورد في قول الشاعر:

((وشيّدت من ذكري وما كان خاملاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ ... وقوله: وشيّدت أي رفعت، ويروى: ونوّهت)). (٥)

وفي الوقت الذي نرى فيه توافر عنصر الاختيار الصائب في تثبيت لفظ الرواية للرجز في المؤلف إذ أفادت بعض النصوص في بيان وقوف ابن ظفر الرواية على الأفضل والأتم ولاسيما في رواية ألفاظ الرّجز المروى بألفاظ متغايرة ((قال محمّد - عفا الله عنه-: قد جاء هذا الرّجز المروي عن الكاهن بألفاظ متغايرة، وما ذكرناه أفضل ما بلغنا منه وأتمه)). (٦) نجد بوضوح ثمة خطوات عملية على مستوى (التحقيق والتمحيص اللغوي - الموضوعي) للنص الشعري الحاضر في رواية اللفظ لدى ابن ظفر ومن أكثر من وجه وعلى النحو الآتي:

أ. ما جاء لغرض التقويم في ضبط اللفظ في سياق الشعر بناءً على مقاييس موضوعية ذكرها ابن ظفر تدعم مبدأ التقويم المشار إليه من أبرزها:

١- عدم الوقوف على كيفية اللفظ الشعري من المصدر الذاتي للشاعر المحدث.

٢- عدم دخول الشاعر وشعره في دائرة عناية الرواة واهتماماتهم.

٣- تغليب الظن في فتح اللفظ (سوسنة) استناداً إلى الوجهة اللغوية في جواز التسوية في فتح أول اللفظ (سوء) وضمّه بما لا يؤثر في المعنى القائم في النص الشعري، كما ورد في قول ((بعض المحدثين:

لم يكفك الهَجْر فأهديت لي تفاعلاً بالسُّوءِ لي سوسنة

أولها سُوءٌ وباقي اسمها يُخبر أنّ السوءَ يبقى سنةً)). (٧)

قال ابن ظفر ((قوله: كما أنّ بعض المحدثين ضمّها ... إلخ. قال محمّد: لا علم لنا بكيفية ما لفظ به هذا المحدث، لأنّه ممن لم يعتن برواية شعره. ولعلّه قال: سوسنة بالفتح فالسوء بالفتح والسوء بالضمّ ومن الناس من يسوي بينهما، وقد قرىء بهما معاً بمعنى واحد في كتاب الله تعالى)). (٨)

ب. ما جاء لغرض الإيضاح اللغوي غير التقويمي، في ضوء تقديم الفائدة التعليمية على مستوى ما يطراً على حروف اللفظ من حالات، كما ورد في تحقيق الصيغة اللفظية (تمتهي) في ضوء أسلوب (القلب) الطارئ على اللفظ الوارد في سياق الشعر إذ: ((قال الشاعر:

تمتهي ما شئت أن تمتهى فلست من أهوى ولا ما اشتهى

بقلب التاء من الدال والهاء من الحاء، ويروى: تمد هي)). (٩)

ج. ما ورد ضمن نطاق التصويب للفظ الوارد في سياق الشعر من الشعر ذاته - (المصدر الحاضر-الغائب في سياق النقل لدى أبي محمّد الحريري) - بعد تصويب نسبته إلى قائله من نحو ما جاء في ((قوله:

أظلوهم إن مُصابكم رجلاً أهدى السلامَ إليكم ظلم

قال محمّد: هذا البيت للحارث بن خالد المخزومي، وقبله:

أقوى من آل ظليمة الحرّم فالعيرتان فأوحش الحطم

... هكذا البيت أظليم، واسمها ظليمة كما قال في أول الشعر، لا ظلوم كما ذكر أبو محمّد)). (١٠)

ومن المنطلق التقويمي أفادت بعض روايات ابن ظفر تصويب صيغة رواية البيت من الناحية اللغوية، نقرأ لابن ظفر في سياق تصويب ما ذهب إليه الحريري في البيت الشعري الآتي: ((قوله: والصواب أن يقال: الحمد لله إذ كان كذا أو كذا. قال محمد: قال لبيد:

الحمدُ لله الذي لم يأتني أجلي حتى كَسَانِي من الإسلام سِرْبَالَا

... وأما إنشاد بعضهم: ((الحمد لله إذ)) فإنه غير معروف)). (١١)

وعاود الإشارة إلى هذا التقويم في سياق البيت الشعري بناءً على مذهب الجواز الممّعل في الصيغة اللغوية ذات الأمثلة الشعرية المتوافرة، إذ قال: ((وبقي لبيد إلى أن وفد على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعاش في الإسلام سنين ولم يقل بعد الإسلام إلا هذا البيت:

الحمدُ لله الذي لم يأتني أجلي حتى كَسَانِي من الإسلام سِرْبَالَا

وقيل: والحمد لله إذ لم يأتني أجلي. والأول جائز موجود في أشعارهم مثله)). (١٢)

ويبدو أن ابن ظفر اعتمد في تصويب رواية البيت الشعري على عنصرين غير متعارضين أسهما في تثبيت رواية: (الحمدُ لله الذي) لديه على حسب مصادره، هما:

١. غير المعروف في رواية: (الحمدُ لله إذ).

٢. الجائز والمتوافر في نطاق الشعر بالأمثلة الواردة في رواية: (الحمدُ لله الذي).

وهذا ما قد يتعارض مع ما ذهب إليه د. أحمد طه حسانين في قوله: ((وقد خان التوفيق ابن ظفر في تعليقه، لأنّ المثبت في رواية البيت المذكور: (الحمدُ لله إذ)، وهو عكس ما قاله ابن ظفر)). (١٣)، ولاسيّما بعد رجوع الأستاذ المحقق إلى المصدر الذي عمل على تحقيقه فحسب وموازنة ذلك بما هو مثبت في غيره من المصادر التي تناقلت البيت. ومن الجدير بالذكر على المستوى العملي أيضاً - غير التقويمي - أنّ في مجال الإفادة من المصدر الخارجي المجهول في نقل الرواية الشعرية، وفي ضوء التحقيق فيها انفرد ابن ظفر بذكر الأبيات الآتية لعلّي بن الجهم غير المعاصر

له في سياق أرجوزة تاريخية في خلع معاوية بن معاوية والتحقيق فيما ورد فيها من الوجهة التاريخية التي وقف عليها المؤلف من مصادره إذ ((قال علي بن الجهم في ذلك من أرجوزة تاريخية :

ثم ابنة مُعَيَّة المضعفُ كانَ له دينٌ وعقلٌ يُعرفُ

ودامَ شهراً ثمَّ نصفَ شهرٍ وجاءَهُ الموتُ عزيزَ الأمرِ

وتركَ الناسَ بغيرَ عهدٍ توقيماً منه وفَضَلَ زهدِ

قال محمد: كلام علي بن الجهم هذا يتضمن أن معاوية مات ولم يخلع نفسه، والمعروف ما ذكرته)). (١٤)

### المبحث الثاني: نقد الشعر

نلاحظ في هذا المبحث توافر بعض الالتفاتات النقدية إلى بعض النصوص الشعرية التي أوردها ابن ظفر في مؤلفاته، إذ بالوسع أن نتلمس ورود بعضها في جانب من الأخبار المنقولة التي دارت في ميدان النقد الانطباعي (١٥)، فضلاً عن تلك الملاحظة الذوقية البسيطة التي أوردها على سبيل الاستحسان للبيت الشعري في سياق التأليف (١٦) التي قد تأتي أحياناً متعلقة بالغرض الشعري المذكور ضمن أسجاع وأبيات كان ابن ظفر قد عرضها كما في قوله المختصر الدال: ((أسجاع وأبيات حكيمة في التأسى)) (١٧) على شرط الكتاب المؤلف.

وبالإمكان أن نرى أن طبيعة الملاحظات النقدية الواردة تنتظم ضمن قضية المعنى واللفظ النقدية بما يعضد - فضلاً عما سبق بيانه - توافر ملامح الوعي النقدي الذاتي وتبلوره لدى ابن ظفر على وفق الصيغة التي جاءت عليها، أمّا على مستوى (المعنى) فنقرأ ما ورد من إشارة مقتضبة تقع ضمن حقل المقاربة في المعنى الدال والتتبع له على نحو شائع ومألوف في ضوء حضور النص الشعري سواء أكان النص مقترناً بذكر قائله أم لا على حسب أسلوب المؤلف في التأليف واهتماماته القائمة: ((قال الشيخ -رحمه الله- : بلغني أنّ محمّد بن يزيد بن المهلب سؤدته الأزدي لثني عشرة سنة فقال حمزة بن فيض يخاطبه بذلك:

بَلَعْتُ لِعَشْرِ مَضْتْ مِنْ سِنِيكَ مَا يَبْلُغُ السَّيِّدُ الْأَشْيَبُ

فهْمُكَ فِيهَا جِسَامُ الْأُمُورِ وَهُمْ لِدَاتُكَ أَنْ يَلْعَبُوا

لداته: أقرانه في السن الذين ولدوا معه في زمن واحد. وللشريف الرضي فيما ينحو هذا المعنى قوله:

لله جيد ما تمهّد غير أحشاء المكارم

فتطوّق العلياء وهو قريب عهد بالتمائم

نيطت بعطفه حما لات المغائم والمكارم

ولغيره:

تُبَيِّنَ فِيهِ مَيْسَمُ الْعِزِّ وَالْعَلَا وَلِيداً يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

فلما تَرَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَانْتَحَى يَصُولُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الدَّوَابِلِ)). (١٨)

وفي نطاق المعنى نلاحظ ما يفيد بيان موقف ابن ظفر من الشعر ونقده على أساس تأويل قول الشاعر بما يسهم في محاولة إنصافه من وجه بناءً على مخرجات التأويل للقول الشعري من الوجهة النقدية، إذ ورد الرأي الآتي في ضوء شرح المعنى لغاية نقدية تقع لصالح الشاعر، نقرأ ((قوله: وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْعُمُصِ. قال محمد: إن حسن أن يقول أبو الطيب: إني أردت أن إدراكك في رؤيا المنام أحلى في العيون من غمضها. فقد حمل عليه في التخليط)). (١٩)

وربما نلاحظ إشكالية قائمة في هذا الجانب إذ لم يحالفه الحظ فيما ذهب إليه أو يبدو كذلك ولاسيما بعد توافر وجهة نظر مخالفة له بعدما قال الخفاجي فيما ذهب إليه ابن ظفر في سياق قوله: ((وقيل: إن المتنبي أراد أنه رآه يقظة مع أن رؤياه في النوم ألد من الغمض والنوم وهو بعيد من السياق)). (٢٠)

وبالإمكان تلمس بعض أحكام ابن ظفر النقدية ضمن هذا المحور بين الاتجاه الانطباعي من جهة والموضوعي من جهة ثانية، ففي ضوء تبني أسلوب النقد الانطباعي نجد الإشارة إلى بيان (إحكام المعنى) في الشعر على نحو غير معلل نقدياً، إذ قال ابن ظفر في إشارة إلى ما وقع من ذلك: ((والصبر صبران: صبر العامة وهو عمل أرواح، وقد أحكم هذا المعنى حبيب بن أوس فقال:



ولباس سَرْدِه الصَّبْر مُدْرَعٌ به في الحادِثِ الجَلَلِ ادْرَاعُ اللامِي

والصَّبْرُ بالأرواحِ يُعْلَمُ فَضْلُه صَبْرُ الملوِكِ وَلَيْسَ بالأجْسَامِ)). (٢١)

بيد أنّ في إطار عرض الزيادة الموجبة في المعنى نجد تعليلاً للاستحسان، وبياناً لما ذهب إليه ابن ظفر في ضوء رصد عنصر السبق في (المماثلة/ التسوية) في المعنى الشعري، وتفعيله لاحقاً عن طريق (شحن) المعنى السابق، على الوجه الذي تمّ فيه تعزيز النقد الانطباعي بالنقد الموضوعي القائم على العرض والتوجيه النقدي- الموضوعي، والمستند أيضاً على ما في الموروث الثقافي ذي الصلة الوطيدة بهذا الأمر كما ورد في الخبر: (( قول معاوية :

صه يا ابنة الأكارم فعبد شمس هاشم

هما برغم الراغم كانا كغربي صارم

... وقوله: كغربي صارم. فالغريان هما الحدان. والصارم: السيف القاطع. يقول: هما كحدي السيف لا فضل لأحدهما على الآخر. وهذا من بديع الكلام ومما لم يسبق إليه في ذكر المماثلة فيما علمت ألا ترى أنه لو قال: هما كالعينين في الرأس أو كاليدين في الجسد لأمكن أن يقال: أيهما اليمنى؟ ولقد اجتهد هرم بن قطبة الفزاري في التسوية بين علقمة بن علفة وبين عامر بن الطفيل حين تنافرا إليه فقال: هما كركبتي البعير الأدم فقيل له: فأيتهما اليمنى فلم يجر جواباً. والمعنى الذي ذهب إليه معاوية -رحمه الله- لا اعتراض عليه إذ كان قد بلغ النهاية في التسوية، وقد شحن هذا المعنى أعني قوله: فعبد شمس هاشم بعض بني أمية فزاد فيه فبلغ غاية الحسن والظرف في الأدب، وذلك أنه عارض الرشيد في طريقه فناوله رقعة فيها مكتوب:

يا أمينَ الله اني قائلٌ قَوْلَ ذِي صدقِ لِبِ وَحَسَبِ

لَكُمْ الفَضْلُ عَلَيْنَا وَلَنَا بِكُمْ الفَضْلُ عَلَى كُلِّ العَرَبِ

عَبْدُ شَمْسٍ كان يَتَلُو هاشمًا وهُمَا بَعْدُ لأُمَّ ولأَبِ

فصل الأَرْحَامِ مِنَّا إِنَّمَا عَبَدَ شَمْسَ عَمِ عَبَدَ المَطْلَبِ)). (٢٢)

وشغل الاهتمام (باللفظ) مكانة تذكر في مؤلفات ابن ظفر، وفي حدود إطار البحث في المبحث الثاني جاءت بعض الوقفات العملية - النقدية مع اللفظ في سياق الشعر، على النحو الآتي:

١. تحقيق اللفظ: فتح تفسير اللفظ في بعض الأحيان عند ابن ظفر السبيل إلى عملية التحقيق في توظيفه في سياق الشعر، وبيان الأوجه العديدة التي يرد بها في سياق الكلام والشعر واستثمار تقديم ما يماثل مرمى ذلك التركيب اللغوي المعروض بما يخرج بفائدتين تكمل إحداها الأخرى على ما يبدو، هما:

الأولى: تعليمية تسهم في تعزيز عملية التلقي النقدية للنص.

والثانية: توجيهية - تثقيفية تعمل على توجيه السياق القولي توجيهاً سليماً كلما تعددت القراءة للنص/ القول، كما ورد في إطار ((تغني العباس بشعر مطرود بن كعب الخزاعي:

هَبَلْتَكْ أُمُّكَ لَوْ نَزَلَتْ إِلَيْهِمْ ضَمْنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ

... أمّا قول الشاعر: هبلتك أمك فاهبل: التلاف والهلاك. ومنه قيل للمثقل سمناً: مهبل، وكذلك يقال للفساد العقل: مهبل. والعرب تطلق هذه الكلمة ونظائرها من الدعاء بالمكروه ولا تريد بها شراً تجريها مجرى اللغو الذي لا يعتد به، وقد تجريها مجرى المدح عند استعظام الأمر، وقد تجريها مجرى الحض والندب إلى الفعل والقول، ومن نظائرها قولهم إذا استحسنا فعل رجل أو قوله: قاتله الله، وما له هوت أمه. ومنها قول عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: ويل لقوام الإمارة لولا قول الله عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). فهذه لفظة أراد بها المدح وحملها على الذم جهلاً بمواقع الكلام، ومنه قول امرئ القيس يصف رجلاً يحسن الرماية:

فَهُوَ لَا يَنْمِي رَمِيَّتُهُ مَا لَهُ لَا عُدَّ مِنْ نَقْرِهِ

الظاهر أنه دعاء عليه أن يهلك حتى لا يعدد مع قومه وهو لا يريد له ذلك حتى لا يعدمه قومه بل يستعظم رمايته ويمدحه. ومنها قولهم: لا أب لفلان ولا أم له في استعظام ما يكون منه. قال الشاعر:

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا زُهَاهُ مُعَانِقِي فَأَيُّ عَنِيْقٍ بَاتَ لِي لَا أَبَا لِيَا)). (٢٣)

وقد تفضي إجراءات التحقيق القائم في معنى اللفظ من وجه إلى عدم توافر الفرق في المعنى كما ورد بين معنى (مخوف ومخيف) ، قال الحريري: ((وكذلك لا يفرّقون بين معنى مخوف ومخيف)) (٢٤) وقال ابن ظفر معقّباً لغرض التصويب الموضوعي في هذا الإطار المفضي إلى الحقيقة بعد العودة باللفظ إلى مرجعيته اللغوية - المعجمية من طرف (خارجي)، والنصبة الشعرية (العنصر الباعث على النقد) كما وردت لدى أبي محمّد الحريري: (( قوله: وإذا قلت: مخيف كان إخباراً عمّا يتولّد الخوف منه، قال محمّد: أنشد أبو محمّد - رحمه الله - في مقاماته:

ما فيهم إلاّ مخيِّفٌ فُ إن تمكّن أو مخوِّفٌ

بناءً على هذا الأصل. والمخيف إذا ولد الخوف كما ذكر فقد خيف فهو مخوف، ولا فرق من هذا الوجه)). (٢٥)

٢. تحقيق أصل اللفظ: يأتي هذا المظهر في سياق العرض والتصويب التقويمي الجائز للنص ولللفظ داخله، وبيان ما يجوز أن يطرأ على أصله اللغوي على حسب الوقوف على تصنيفه غير العربي، والخطوات العملية الموضوعية في النص أدناه تتمثّل في أننا نلاحظ أن المأخذ اللغوي - النقدي قد تعدّى المؤلّف الواحد (الحريري) إلى المرجعية المعرفية التي استقى منها المؤلّف رأيه أيضاً وتتمثّل بـ (أبي عمر الزاهد في كتابه اليواقيت)، وذلك بتسليط الضوء على ما ذهب إليه من قول وبيان الجائز فيه من غير حرج يذكر، فضلاً عن الإتيان بالأمثلة الدالة على الطرح التقويمي للفظ (مطرمد) في ضوء عملية إعادة رواية الرّجز الذي وقع اللفظ ضمنه، قال الحريري في هذا الشأن: ((ويقولون للمتشیع بما ليس عنده مُطرمد وبعضهم يقول: طِرْمَذَاذ كما قال بعض المحدثين:

ولسان طِرْمَذَاذٌ وِغِدُوْ وَرَوَاحُ

والصواب فيه طرماد على ما حكاه أبو عمر الزاهد في كتاب اليواقيت، وأنشد عليه لبعض الرّجّاز:

سَلَّمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى مُعَاذٍ سَلَامٍ طِرْمَاذٍ عَلَى طِرْمَاذٍ)). (٢٦)

وقال ابن ظفر في ذلك: ((قوله: وأنشد عليه لبعض الرّجّاز:

سَلَّمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى مُعَاذٍ سَلَامٍ طِرْمَاذٍ عَلَى طِرْمَاذٍ))

قال محمّد إنّما الرّجز:

لما رأيتُ القومَ في إغْدَادُ

وإنه السَّيْرُ إلى بَعْدَادُ

تسليمَ مَلَأْدٍ عَلَيَّ مَلَأْدُ

الملاذ: المسرع، وما ذكره أبو عمر فيه نظر. فلا حرج في قولهم: طرمذ فهو مطرمذ، وهذا كقولهم: شملل فهو مشملل أي مسرع، مع قولهم: شمالل، وكقولهم: جلوذ فهو مجلود: أي أسرع، مع قولهم: جلوذا. ثم الطرمذة ليست بعربية محضة، والأسماء العجمية يتلاعب بها لا حرمة لها ولكن لا يعدل بها عن الصيغ العربية، وفي الأبنية العربية فععلان فيقال من هذا: طرمذان)). (٢٧)

٣. تقويم توظيف اللفظ: ونلاحظ أن هذا الجانب النقدي لدى ابن ظفر في ضوء المتوافر من النصوص يقوم

على أساسين:

أ. المعنى القائم في قول الشاعر، وذلك باقتراح اللفظ الدال ومرادفه أيضاً على المعنى المقصود في النص بما يسهم في تقويمه موضوعياً من الداخل، بعد استدعاء القصد القائم في النص وقرآته وعلى وجه التحديد موطن الشاهد في البيت الشعري من القول، كما في ((قوله: لا عُدُّ مِنْ نَفْرَةٍ. قال محمّد: تفسيره النفر بالقوم في البيت المذكور مناقض لما اشترط من أنّ النفر لما دون العشرة فلا شك أنّ قومه بنو ثعل، وهم أمة عظيمة. ولو قال أسرة ونحوها لكان الوجه)). (٢٨)

ب. توافر ضرورة الشعر في إطار الالتزام بالأصول المرجعية التي تؤسس للنظام المعرفي بما في ذلك جواز الخروج عن سياقاته المعهودة، ولا سيّما فيما يقتضيه السياق من تحريك الحرف الساكن المتوسط في اللفظ/ الاسم الذي يقع في موضع القافية من الشعر على سبيل المثال كما جاء في قول الحريري: ((ويقولون فيه شَعَبٌ بفتح العين فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين في قوله:

يا ظالمًا يتجسنى جئت بالعجب شَعَبَتَ كيما تغطي الذنب بالشَّعَبِ

والصواب شَعَبٌ بإسكان العين، كما قال الشاعر:

رأيتك لما نلت مالاً وعصّنا زمانٌ يُرى في حد أنيابه شُعْباً)). (٢٩)

قال ابن ظفر في هذا الشأن فيما ذهب إليه الحريري من تصويب على حدّ زعمه من منطلق الابتعاد عن أفق المعرفة القائمة في توظيف اللفظ بصيغة الجواز، والمجيء بالدليل على الخروج عن الحقيقة التي تمّ غضُّ الطرف عنها من لدن الحريري أو كما يبدو، وذلك في ضوء الموازنة بين الموقفين (إبستمولوجياً) وبيان الاضطراب الحاصل في ذلك لدى المؤلّف، بما يسهم في إنصاف الشاعر عن طريق تقديم توضيح حول ذهابه هذا المذهب من التوظيف اللغوي (( قوله: فيه شعب بفتح العين فيوهمون فيه إلخ. قال محمّد: الكلمة على ما وصفها به وتغليظ الشاعر في تحريك ذلك الحرف جهل عليه واشتهار ساحم الشعراء بذلك وبما هو أشنع منه مغن عن شرحه، وقد روى أبو محمّد ذلك في كتابه هذا أبياتاً . ومنها أنه أنشد لدعبل:

ما سُرَّ مَنْ را بِسُرِّ مَنْ را

وأنشد آخر:

ما أطول الليل بِسُرِّ مَنْ را

ثم قال بإثر ذلك: وقد نطق الشاعران باسمهما على وضعه، وإن كانا قد حذفوا همزة رأى لإقامة الوزن وتصحيح النظم، ومعلوم أن تحريك الحرف المتوسط من الاسم لضرورة الشعر أخفّ من حذف الهمزة المتوسطة من الفعل التي سقط لأجل حذفها حرف العلة)). (٣٠)

### الخاتمة

تتضح معالم الراوية والناقد لدى ابن ظفر على مستويين:

الأول: التنظير: المتمثّل بتوظيف الذاتية والمعاصرة في الرواية في المبحث الأول، وبعض الأحكام الانطباعية ذات البعد النظري في النقد في المبحث الثاني.

والثاني: التطبيق: في ضوء توافر نماذج من الملاحظات العملية - التطبيقية ذات الخلفية الموضوعية مع الأمثلة الدالة الواردة ضمن المبحثين.

وبناءً على ما جاء في سياق البحث فإنّ القاسم المشترك بين الشخصية الراوية والناقدة لدى ابن ظفر في نطاق تعرضه للنص الشعري هو الجانب الموضوعي - اللغوي الحاضر بمعطياته المعرفية في ضوء أطر توظيفه على النحو الذي مرّ بنا آنفاً.

### الحواشي

(\*) ينظر: ابن ظفر، تفسير ينبوع الحياة، سورة الأعراف، (انترنت)، ٥-٦ إذ تمّت الإشارة إلى عدد من الأطاريح والرسائل الجامعية التي درست وحققت أجزاءً من تفسير ينبوع الحياة في جامعات المملكة العربية السعودية.

(١) ينظر: ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، نسخة محقّقة ومقابلة على عدّة مخطوطات، تح لجنة إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٠، ٩٨.

(٢) ابن ظفر، سلوان المطاع في عدوان الأتباع، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠١، ٢٥.

(٣) ينظر: ابن ظفر، سلوان المطاع، ١٠٥، ١٣٠ لطفاً.

(٤) ابن ظفر، سلوان المطاع، ٥٢-٥٣. إصنات تعذيبه: أي إحكام وشدة تعذيبه. وأبيات الخنساء، الديوان اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، بيروت، دار المعرفة، ط٢، ٢٠٠٤، ٧٢.

(٥) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ٩٦، ٩٨.

(٦) ابن ظفر، خير البشر بخير البشر، قدّم له واعتنى به وشرحه: الشيخ علي أحمد عبد العال، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠، ٢٠١٠.

(٧) الحريزي، القاسم بن علي، درّة الغواص، شرحها وحواشيتها وتكملتها، تحقيق وتعليق: عبد الحفيظ فرغلي علي، بيروت، دار الجيل / القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٩٩٦، ٤٦٧.

(٨) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص في أوهام الخواص للحريري، دراسة وتحقيق: د. أحمد طه حسانين القاهرة، مط الأمانة، ط ١، ١٩٩١، ١٦١.

(٩) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ٢٤.

(١٠) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ٩٩-١٠٠. البيتان: المخزومي الحارث بن خالد، شعر، د. يحيى الجبوري، النجف الأشرف، مط النعمان، ط ١، ١٩٧٢، ٨٩، ٩١. برواية: أهدى السّلام تحية في البيت الأول وهكذا رواه ابن ظفر. البيت الثاني: الحزم بدلاً عن الحرم، فالغمرتان بدلاً عن فالعيرتان والحطم بدلاً عن الحطم. والبيتان: العرجي، الديوان، جمعه وحققه وشرحه: د. سجع جميل الجبيلي بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٩٨، ٣١٨-٣١٩. الحريري، درّة الغواص، ٢٩٦-٢٩٧.

(١١) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ٢٠٤. البيت: ابن ربيعة، لبيد الديوان، شرح الطوسي، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٣، ذيل الديوان أو ما نسب إليه وإلى غيره، ٢٨٤ برواية: الحمد لله إذ.

(١٢) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ١٧٦.

(١٣) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ٦١. وينظر البيت والاختلاف في نسبه إلى قائله لطفاً: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، د. ت، ١: ٢٧٥ المرزباني، معجم الشعراء، تح: د. فاروق أسلم، بيروت، دار صادر، ط ١، ٢٠٠٥، ٢٦٩ منسوباً إلى قردة بن نفاثة السلولي وغيره (الهامش).

(١٤) ابن ظفر، سلوان المطاع، ١٣٤. وأبيات ليست في ابن الجهم، علي، الديوان، تح: خليل مردم بك المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، ط ٢، ١٩٨٠.

(١٥) ينظر: ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ٩٦. ١٣٩.

(١٦) ينظر: ابن ظفر، سلوان المطاع، ٧٨.

(١٧) نفسه، ٥٢.

(١٨) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ١٢٦. وأبيات الرضي، الشريف، الديوان، بيروت، مط الأدبية ١٣١٠هـ، ٨٢٢، والقافية في البيت الثالث: والمغارم. والبيتان: تُبَيَّنَ فِيهِ مَيْسَمٌ ... للحزين الكناني المرتضى، الشريف، الأمالي (غرر الفوائد ودرر القلائد) تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٤، ١: ٤٦٢-٤٦٣. وينظر فيه اختلاف الرواية لطفاً.

(١٩) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ١٢٧. والشطر: المتنّي، أبو الطيب، الديوان، بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى بالبيان في شرح الديوان، ضبطه وصحّحه ووضع فهرسه: مصطفى السّقا (باشتراك) بيروت، دار المعرفة، د. ت، ٢: ٢١٩. الحريري، درّة الغواص، ٣٨٥.

(٢٠) شرح درّة الغواص في أوام الخواص للحريري (ضمن كتاب درة الغواص، شرحها وحواشيها وتكملتها) ٣٨٦.

(٢١) ابن ظفر، سلوان المطاع، ٧٧. والبيتان في التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤، ٢: ١٠٣. ورواية شطر البيت الأول: لبّاس سَرْدِ الصَّيْرِ مُدْرَعٌ بِهِ.

(٢٢) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ٦٥، ٧٠-٧١. والأبيات لعتّاب بن عبد الله بن عنيسة ينظر: المرزباني، مصدر سابق، ١٤٢. وينظر الاختلاف في رواية الأبيات وفي ترتيبها: ابن الجراح، محمّد بن داود، الورقة، تح: د. عبد الوهاب عزام (باشتراك)، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، د. ت، ٩١.

(٢٣) ابن ظفر، كتاب أنباء نجباء الأبناء، ٦٣، ٦٤-٦٦. وينظر روايات البيت: هَبْلَتَكَ أُثْمَكُ ... المرزباني مصدر سابق، ٣٣٣-٣٣٤ وقال: وله ورويت لغيره. المرتضى، مصدر سابق، ٢: ٢٦٨. والآية الكريمة: المائة / ٤٤. وبيت امرئ القيس، الديوان (القسم الثاني: رواية الأصمعي من نسخة الأعمش)، تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٩٨٤، ١٢٥ برواية: لا تَنَمِي. وينظر رواية البيت وما راعني إلّا زُهَاءُ مُعَانِقِي. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار الفكر، د. ت، (مادة عنق).

(٢٤) درّة الغواص، ٦٨٤.

(٢٥) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ٢٤٩-٢٥٠. والبيت في الحريري، المقامات، بيروت، دار بيروت د. ت، ٢٣٧.

(٢٦) درّة الغواص، ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٢٧) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ١٧٣-١٧٤.

(٢٨) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ٧٨-٧٩. الشطر: امرؤ القيس، مصدر سابق، ١٢٥. الحريري درّة الغواص، ٢٣٤.

(٢٩) درّة الغواص، ٤٠١.

(٣٠) ابن ظفر، الحواشي على درّة الغواص، ١٣٤-١٣٥. وجاء الشطر الأول برواية: لَيْسَ سُورٌ بِسُرٍّ مَنْ رَا وَعَجْزُهُ: بَلْ هِيَ بُؤْسٌ لِمَنْ يَرَاهَا، الخزاعي، دعبل من علي، الديوان، شرحه: حسن حمد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٤، ١٣٩. وينظر: الحريري، درّة الغواص، ٦٣٧-٦٣٨.